الى الاستاذ الزيات

«ذكرى ميلاد» حركت قلمى !

للمربية الفاضلة الآنسة زينب الحكيم

أحييك من قلب يتهيب فواجع الحدثان لتتابعها ، ويئن من المصائب لتواليها ، حتى أصبح قلباً كسيراً ملتاعاً . وأشكرك على كلمتك (ذكرى ميلاد) بقدر ما أشاركك عواطفك النبيلة نحو ذلك « الرجاء » الضائع والأمل المنهار

لقد هز نفسى هذا المقال هزة عنيفة ، وحرك قلمى بعد أن سكن طويلاً ليكتب عن الأطفال ، والطفولة الحنيثة . وكنت قد دفنت هذه الذكرى لا تعمداً ولكن قهراً ، مع أن أمنيتى فى الحياة كانت العمل على إسعاد الأطفال واستمتاعهم بطفولتهم ، ولا سيما ونحن فى بلد لا يعرف للطفل حقه ، ولا يدرك للطفولة كرامتها

وكم نحن فى حاجة إلى آباء مثلك يعنون بدراسة أبنائهم ، ويشاركونهم الحياة ليعيشوا وإياهم سعداء

غالب الظن ، أن الأستاذ الزيات لم يدخل مدرسة علم النفس الحديثة ، أو هو إذا كان قد فعل لا يطنطن بدراساته المتعددة وجهوده المتكررة كما يفعل بعضهم . إن كلمتك يا أستاذ تعد بمثابة رءوس لعدة دروس تربيوية جامعة فى عالم الأطفال ، يجب أن توضح وتدرس للآباء والأمهات جميعاً

فأن « فرحك الصادق ، واستبشار نفسك بذلك المولود الذى هبطت عليك بشراه هبوط الملك على زكريا ، والذى جعل نفسك تطمئن إلى أن اسمك قد اشترك ، ووجودك قد ازدوج ، وعمرك قد امتد فى الحياة » ، كل ذلك ما ينبغى أن يحسه ويشعر به جميع الآباء والأمهات ، قبل وبعد أن يرزقهم الله أطفالاً ، وذلك من أهم العوامل التى تؤثر فى حياتهم

إن ذلك « الرجاء » الذى غير من نظرتك إلى الأطفال ، فجعلها نظرة عملية جادة ، بعد أن كانت خيالية نظرية ، تلك النظرة التى جعلتك تتقرب إلى كل أب ، وتسكن إلى كل أم ، هى التى جعلتك من هذه الناحية فى صف المكلفين المسؤولين . ولعمرى إن الرجل المكلف المسئول هو الرجل الحر الذى يعتمد عليه . فلله ما أجل ما اختصك الله به من فطنة للوجود الحق ، وما أقوى ما امتازت به طبيعتك من تكوين الأسرة السعيدة التى هى اللبنة الأولى فى بناء الوطن العزيز

ثم إن خطة تعاقب المآدب ، وتقديم الهدايا ، وبهجة الدار المتوالية ، وإعطاء الصغير فرصة الرياضة فى الحديقة ، والعناية بنظام حياته كلها فى غير إسراف أو تقتير ، يتفق تماماً وروح التربية الصحيحة . كذلك إقامة حفلات الميلاد ، والتعارف بين الأطفال ، وما إلى ذلك ، لما يزيد فى بهجة الأسر ، ويدرب النشء على الآداب العامة من نعومة أظفارهم ، ويشعرهم بالواجب ، وبعد شخصيتهم للنضوج التدريجى ، ويشجعهم أيضاً على قبول كل شىء حولهم وخصه ، من أشياء وأفكار ومبادئ ، فيخضعون للصالح منها فى غير تأفف ، ويأنفون من الطالح فى صراحة ويقين

لقد كنت مثال الأب الصالح بالنسبة لطفلك العزيز ، فان مصاحبة الآباء لأبنائهم أثناء شراء لعبهم ولوازمهم ، وإعطاءهم فرصة الانتقاء والاختيار مع التوجيه الصحيح والارشاد الحكيم ، يمكنهم من دراسة غرائز أطفالهم وتعرف ميولهم ، فيعملون على تربية كل وفق طبيعته

أما بعد ، فقد تكون الأهرام أضخم وأفخم ، وأعمدة بعلبك أجلّ وأجل ، ولكن للايوان معنى آخر ...

هنا كان يستقر جلال الماضى كله ؛ هنا كانت عظمة الملك وجبروت السلطان ؛ هنا كان الذى يستعبد الناس ، فيؤلهه الناس ... لم يبق من ذلك كله شىء ...

وكانت الشمس قد جنحت الى المغيب ، فنزلت ووقفت أودّع الايوان ، فاقترب منى سائل أعمى ، وجعل ينفخ فى ناى معه نغمة حزينة مؤثرة ... فكان لها — فى تلك الساعة ، فى صمت الصحراء ، ووحشة الايوان ، وغروب الشمس — أثر فى نفسى لا يوصف ، فقلت : آه ... ليتنى كنت شاعراً

على الطنطاوى
مدرس الأدب فى الثانوية المركزية ببغداد

وكم كنت أباً رحب الصدر ، بارعاً فى فن تربية الأطفال وهم رجال المستقبل وعدة الوطن حينما كنت تجيب « رجاء » على أسئلته بقدر ما يحتمل عقله ، ولا ترد له سؤالاً أو تعنفه عليه ، ولو كنت فعلته لما لحظت مخائل نجابته المبكرة ، ولا حدة ذهنه وشخصيته القوية المرنة كما وصفت

الى هنا ، يأتى دور العتب على الأستاذ الزيات ، فى هلع نفسه ، وتطيره من الحياة ، لأن الله اختار ذلك الكم العبق لجواره الكريم (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) أيدرى أحدنا لماذا خلق على النمط الذى اختصه الله به ؟! أو لماذا يرجعنا الله إليه إن عاجلاً أو آجلاً ؟! له فيما يريد أبلغ حكمة

وعهدنا بالأستاذ كبير النفس قوى الايمان ، صقلته غِيَرُ الدهر وصروف الزمن ، فلا ينبغى أن يجزع إلا على قدر

ولست أدرى لم تطوى ثياب « رجاء » تعبث بها الهوام وتوارى فى الحقائب ، وقد لامست جسمه النضر ، وتضوع فيها شذى أنفاسه العطر !! ولماذا تخفى لُعب « رجاء » ، وهو الذى لمسها بيديه الطاهرتين ؟! وأتساءل فى دهشة : لماذا تستر صور « رجاء » وجميع آثاره ؟!!

إن هذا ينافى بقاء ذكراه الكريمة ، ويمحو صورته الجميلة من المخيلة ، ويذهب بصوته الرائق من الأذن

أيها الأب الكريم ! سهل على النفس غرامها ، وعلى القلب حنينه ، وعلى العقل حيرته . انشر صور « رجاء » فى كل مكان جميل فى المنزل ، وضع لعبه فى أكرم مكان وأليقه ، وانفض من ثيابه المطوية الغبار ، حتى تتلمسه فى كل شىء حولك ؛ وضع أثراً من آثاره كمنديل ، أو قفاز ، أو لعبة صغيرة فى مكان يحتمل أن تطرقه على حين فجأة ، وانس أنك وضعت ذلك الأثر فى هذا المكان ، فاذا صادفك بعد حين ، فاختبر انفعال نفسك بالعثور على ذلك الأثر المنسى ، وجدد الذكرى ؛ ثم حدث أصدقاءك ومحبيك كلما زاروك عن صور « رجاء » على اختلاف مواضعها ومناسباتها . وأشد بذكائه وجمال نفسه ، وما كنت تعقد على وجوده من أمل ، وبهذا تستطيع أن تُبقى « رجاء » حياً فى عقلك وفؤادك ، وبهذا تستطيع أن تجد رجاء أقوى فى (خليفة رجاء) . وحذار من تضليل الطفل بعاطفة مصطنعة ، فأنها لن تخفى عليه مهما صغر سنه ، وإن هو عجز عن أن يثأر لنفسه منك صغيراً ، فلن تفلت منه وهو كبير . واعمل بالمبدأ القائل : إحىَ ويسر للآخرين الحياة

وإنى بهذه المناسبة ، يحضرنى حوار شعرى طريف ، كنت قد حفظته وأنا طفلة بالمدرسة لشاعر الطبيعة الانجليزى (وردذورث Wordthworth) ألخص معناه فيما يلى :

تخيل الشاعر أنه قابل مرة طفلة ريفية راقه حسنها ، فاستأذن فى محادثتها ، وسألها : « ألكِ إخوة وأخوات أيتها الصغيرة ؟ قالت : نعم ، نحن سبعة من ذكور وأناث ، مات منا اثنان . فقال لها : إذن أنتم خمسة الآن لا سبعة ؟! فقالت : لا ، نحن سبعة . فقال إذا كان قدمات منكم اثنان فالأحياء خمسة فقط !! فأجابته الريفية الساذجة بدهشة ردت الشاعر العظيم إلى صوابه قائلة : ولكنهما حيان عند الله وسنتقابل جميعاً فى الجنة . »

هذا ياسيدى الأستاذ تحليل طفلة غربية ساذجة ، فهل يجوز أن يكون جواب الشرق فى مثل هذه الأحوال كذلك ؟! أم الجواب منك وإليك ، وأنت صاحب النفس الكبيرة ، والايمان العامر . أطال الله بقاءك ، وأجمل عزاءك

زينب الحكيم

أدولف

لبنجامان كونستان الفرنسي

عربه الدكتور حسن صادق

أحلا تحليل للقلب الإنسانى وأصدق مرآة يرى فيها كل قارئ عواطف نفسه فهو كما قال الدكتور طه حسين فى مقدمته كتاب عظيم الخطر من جميع الوجوه

وثمنه ١٠ ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر والمكاتب الكبيرة الأخرى